سينما

الوثائقي «اخترِق صحّتك»

كاميرا الأمعاء المتشابكة

وثائقي يتناول علاقة الناس بالطعام وصعوبة اختيار المأكولات وكيف أنّ عدم التنوّع مُضرّ للأمعاء، ويُصوّر الفرق بين أغنياء وفقراء في المأكل

محمد بنعزيز

طالبة طبّ متبرجزة، تحكي سيرة أمعائها، في Hack Your Health: The Secrets Of Your Gut، لأنجلي ناير (وثائقي، 2024، نتفليكس). تعاني ألماً بسبب صعوبة اختيار الطعام: شوكولاته أم كرنب؟ في هذا العالم غير العادل، يموت بشرٌ جوعاً، وآخرون يشتكون من أضرار وفرة الطعام المُضرّ بجهازهم الهضمي. هناك من يأكل ليستمتع، وهناك من يأكل ليبقى حيّاً. النوع الثاني لا مكان له في الفيلم، المُركِّز على أمعاء المتخمين. يقدّم الجانبُ البصري الأمعاءَ البشرية من الداخل بألوان زاهية، وبلا رائحة. تستمتع العين بالمَشاهد المعطاة من نظرة واحدة. للتوضيح: تجرى مقارنة بصرية باطنية بين أمعاء فردٍ يقطن في مدينة أميركية كبيرة، وبطن قروي في مملكة نيبال. البكتيريا أكثر تنوّعاً في أمعاء النيبالي، لأنّه يتناول مواد مُصنّعة أقلّ. رسالة الفيلم: نَوّع طعامك كي تنوّع البكتيريا التي تستوطن أمعاءك. يُصوّر المجتمع البكتيري الساكن في أمعائنا. تجعل الكاميرا الرقمية الطبَّ الباطني برّانياً مرئياً. انتقل الطبيب من سماع صوت الأمعاء إلى رؤيتها. الكاميرا وسيطٌ يرفع المستمع إلى مرتبة الشاهد. صارت الكاميرا عين الطبيب في البطن. فنّياً، جسّم الفيلم الحرب: تشنّ الخلايا المناعية حرباً مستمرة لإبادة أعداء الجهاز الهضمي. عرض الـ«غرافيزم» علب الأدوية كطائرات تُسقط عقاقير في أمعاء البشر. للخروج من الواقع الفظيع، تُزرع بكتيريا توأمين في أمعاء فأرين. يُجسَّم الصراع بين البكتيريا والخلايا المناعية ليلائم عين الكاميرا. هكذا، يتابع المشاهدون حكاية خيالية. حقيقية، تجري أمام الكاميرا، التي، بصفتها وسيطاً جماهيرياً، اقتحمت مجالاً في الطبّ النخبوي. يستخدم الفيلم تصميماً غرافيكياً، بمُجسّم ثلاثي الأبعاد، للشرح. تحوّلت الأمعاء إلى أنفاق ملوّنة وخطوط. صار الرسم على الحاسوب بالصُور للتوضيح. هكذا، جرى إيصال المعلومة إلى العين. يمكن لعمل الكاميرا الرقمية تغيير تعليم الطب. يمكن للهاتف تهديد مهنة الطبيب. حالياً، يأكل الفرد، ويقيس السكّر في دمّه بهاتفه. صار الهاتف مُختبراً طبّياً.

هذا الوثائقي تعِلّة للتأمل في أنّ الجوع لا يجد ناطقين باسمه. يملي الإنترنت على الأغنياء ما سيأكلون، بينما يأكل الفقراء ما يتوفّر. يأكل الفقراء خبزاً دقيقاً ومُحلّى بالسكر الصناعي. هذا كارثيّ للصحة. الفيلم عن أفراد في مجتمع الوفرة، لديهم ما يكفي من الطعام، ومشكلتهم في الاختيار. شوكولاته ومثلّجات وبيتزا. في النهاية، يصير البطن مشكلة. وقع تغيّر في السوبرماركت. انتقلت الأهمية من جناح الشاشات والهواتف إلى جهة الأطعمة «بيو». كلّما قلّ تنوّع الطعام، كثرت أمراض الجهاز الهضمي. يُحكى عن ملكٍ داهية، كان يسجن خصومه ويقدّم لهم الطعام نفسه، إلى أنْ يموتوا. يموتون في أقلّ من شهر، بسبب الافتقار إلى البكتيريا الجيدة والمتنوّعة.

أنجلي ناير: رحلة بصرية في أمعاء بشرية (رودان اكتروث/Getty)

> خلايا مناعية تشنّ حرباً لإبادة أعداء الجهاز الهضمي

كيف عرف الملك ذلك؟ بالتجربة والنتيجة. يحتاج الدماغ إلى التنوّع الغذائي نفسه الذي تحتاج إليه الأمعاء كي لا يفتقر إلى الخيال. هذا فيلم بالذكاء الصناعي عن أقدم موضوع خبزيّ مُجسّم. كيف يقود البطن حياة الفرد؟ تتجوّل البكتيريا في الأمعاء، كما تتجوّل السيارات في الشوارع. الميكروبات الطبيعية أكثر تنوّعاً. حين يتحوّل هذا إلى غرافيزم، تُصبح خريطة الميكروبات أعقد من لوحة تشكيلية انطباعية.

يبدأ الفيلم بمقارنة ساخرة: يراقب البشر القمر والكسوف طويلاً. يندر أنْ يراقبوا أمعاءهم التي تضخّ الطاقة في ركبهم التي تحملهم. ما الذي يجري في البطن؟ تأخّر التفكير في جواب. اهتمّ الشاب زرادشت بالناس والشيطان، ولم يأكل، حتى ذكّره الجوع بحقيقته. لم يفكر الفيلسوف والشاعر اللذان يأكلان في صحن الأمير في الجوع. كانا يتغنّيان بالإرادة والحلم. الـ«كوجيتو» الخُبزيّ: «أنا آكل يومياً أنا حيّ»، سابقٌ زمنياً على الـ«كوجيتو» الفلسفي: «أنا أفكر إذاً أنا موجود». لا تستطيع الكاميرا تصوير ما يسمّيه النسل الفلسفي «الملذّات العقلية السقراطية»، لكنّها تستطيع تصوير الملذّات الحسّية كالغواية والتفاحة المعضوضة. حالياً صُور الوجبات في اللوحات الإعلانية في الفضاء العام أضخم من حجمها في صحون المطاعم. رفض الفلاسفة المصابون بهوس التجريد سماع أصوات الحواس، ومجّدوا الروح والكينونة، ثم ذكّرتهم معدة زرادشت بحقيقتهم.

ما الذي صنع الجانب الفني للفيلم؟ الكاميرا. إنّها وسيط تصويري يسرد بالحواس للحواس. تصوير الأكل ساحر. يأكل جميع البشر يومياً. مشكوكٌ به أنّ قلّة التفكير تزعجهم، كما تُرعبهم قلّة الطعام. جُسّم الجهاز الهضمي لتراقبه الكاميرا. يشعر المشاهد أنّه يتسكّع في أمعاء البشر. أمعاء قذرة نقّاها الذكاء الصناعي وجَمّلها. المعدة مدخل التحكّم في الوزن والسكري. جميع العزّاب مصابون بآلام المعدة. عددهم يتزايد عالمياً، لذا يشتدّ الزحام في عيادات أطباء الجهاز الهضمي. سيشتدّ في الدول الإسلامية بعد كلّ عيد أضحى. يمكن للمعدة تفسير الكثير. لكنْ، لن يغامر أيّ مهرجان سينمائي ببرمجة هذا الفيلم الوثائقي. لو غابت حفلات العشاء في أيّ مهرجان، فسيتعرّض للمقاطعة والتشهير. في كلّ المهرجانات، لا يحضر كثيرون عروض الأفلام، لكنّهم لا يقاطعون الوجبات. إذا نظرنا إلى البشر من طول أمعائهم، فجميعهم متساوون. لكنْ، لا مساواة في الحجم والصحة. كلّ ما يؤكل يؤثّر على حجم الأمعاء وفعاليتها كونها آلة. تبدأ الفوارق الطبقية من الصحون. لا يمكن لجائع أن يكون وسيماً.

«زيارة إلى اليمن»: بوحٌ سينمائي مطلوب

نديم جرجوره

تجربة موريال أبو الروس في «زيارة» (سلسلة وثائقية مؤلّفة من حلقات عدّة، تتراوح مدّة كلّ منها بين 5 و6 دقائق فقط)، المنطلقة عام 2014، جديرة بالمتابعة، لما فيها من اشتغالاتٍ، تحاول ابتكار جديدٍ في مقاربة أحوال جماعة عبر اختبارات فردية، تاركةً لأفرادٍ مساحة بصرية لقول وبوح، وإنْ تكن المساحة قليلة زمنياً، وهذا مناسبٌ، فالتكثيف أساس الابتكار، والثرثرة قاتلة الصورة. ذكرى مرور عشرة أعوام على إطلاق السلسلة (إنتاجٌ أساسيّ لـ Home Of Cine-Jam، جمعية فنون إنسانية)، مناسَبة لإنجاز أربع حلقات جديدة (2024) مرتبطة باليمن، بفضل تعاون مع «المركز الدولي للعدالة الانتقاليّة»، الناشط في مجتمعات عدّة «للتصدّي لأسباب الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، ومعالجة عواقبها». أربع حلقات . شخصيات: محمد الجلبين (25 عاماً) لاعب محترف في الفنون القتالية، بدر الحداد (26 عاماً) عامل في المطاعم، هدى الصراري (46 عاماً) محامية تترأس مؤسّسة «دفاع» للحقوق والحريات، وطاهر الجبل (56 عاماً) رجل أعمال.

المشترك كامنٌ في قهر وألم، ورغبة ملحّة في خلاص من حربٍ مندلعةٍ في البلد، والحرب تُهجّر كلّ شخصية إلى مسقط العُمانية. مشتركات أخرى: علاقة الرجال الثلاثة قوية بأهلٍ وأبناء رغم هجرةٍ وقلقٍ واشتياق، والمحامية تفقد ابنها قبل وقتٍ بسبب تلك الحرب. عدم قدرة على العودة، يرافقه إعلان حبّ للبلد، وتمنّيات بانتهاء حربٍ، يتقاتل فيها يمنيّون، بعضهم يجلس إلى البعض الآخر على طاولة واحدة، ما يُثير شعوراً بمزيدٍ من قهر وقرف (بدر الحداد). رغبة في سلامٍ وأمن، بنبرةٍ توحي كأنّ الشخصيات ممتلئةٌ بحسّ إنساني لا مثيل له، يتعلّق باليمن (الجلبين والحداد والصراري)، ويشمل العالم كلّه (الجبل).

أهذه مبالغة في الوطنيّ، أم صدقٌ في شعور يتأرجح بين تمزّقٍ بسبب الحرب، وتعلّق بوطن متبدّل كلّياً بين ماضٍ بعيد وراهن قاتل؟ تكتفي موريال أبو الروس (مخرجةً الحلقات ومُصوّرتها السينمائية) بنقل مرويّات شخصيّةٍ، عن بلدٍ غارقٍ في دم وعنفٍ ودمار، وعن أناسٍ يُقيمون في خراب وانكسارات وهزائم فرديةٍ. وفي النقل شيءٌ من تحريض مبطّن على عدم إغفال أهمية البوح بالنسبة إلى الفرد نفسه أساساً.

مسائل لافتة للانتباه في كيفية إنجاز «زيارة إلى اليمن» (المنتجة دنيز جبّور): إخراج كلّ شخصية من الكادر، لإبعادها عن لقاءٍ مباشر وأفقيّ مع العدسة، رغم لقطات توهم بأنّ العدسة والعين تتواجهان. هذا مهمّ، فالسلسلة غير معنيّة بمفردات التسجيلي بل بمفهوم وثائقي سينمائي غالب في إنجاز أفلامٍ عربية عدّة، كما تبغي إزالةَ كلّ حدّ بين الشخصية وذاتها أولاً، لتمكينها من بوح مطلوب. تداخل اللقطات (شخصية، بيئة، أمكنة مهنةٍ، مساحات في طبيعةٍ، إلخ) يجعل المتابعة أمتع، رغم قسوة المرويّ، والاستناد إلى أرشيف حربٍ وشعرٍ وأصواتٍ، يغذّي كلّ حلقة بمتنفّسٍ بصريّ سمعي، يتوافق مع المرويّ نفسه.

الحرب حاضرةٌ من دون ملامحها، فبعض الكلام يعكس حضورها من دون إظهارها، وأصواتٌ قليلة تُكمل حضورها، من دون افتعال. هناك تلاعبٌ بالمتتاليات البصرية بين إظهار الشخصية في أشكال مختلفة، وأشرطة وأصوات مرتبطة بالنصّ الأساسي، أي بما ترويه الشخصية نفسها. مونتاج بصريّ سمعي كهذا يُزيل كلّ حدّ بين تفاصيل تُروى إمّا بصُور وإمّا بكلام، كنوعٍ من تمويهٍ جماليّ يُضفي على السياق شفافية بوح وكشف. والحلقات اليمنية تستفيد من بعض قواعد الفيلم الوثائقي التقليدي (تقديم معلومات عن الشخصية في نهاية كلّ واحدة منها) من دون التزام بها، فالتعريف المختصر للغاية مطلبٌ فني وأخلاقي، يوضح موقع الشخصية في بيئتها الصغيرة، وجماعتها الأوسع.

استخدام السينما في عملٍ اجتماعي نفسي معروفٌ في فنون مختلفة، فالسلسلة تبغي «تحقيق شفاء عاطفي واجتماعي وجماعيّ من آثار النزاعات». البوح الذاتيّ يُساعد الفرد في هذا. لكنْ: إلى أي مدى يُمكن لبوحٍ ذاتي في خمس دقائق تحقيق شفاء، أم أنّ «زيارة» مكتفٍ بمساعدة فنية متواضعة لكلّ فرد على تنبيهٍ إلى أهمية البوح، أي الكلام الذي يسرد مشاعر ويكشف تفكيراً ويقول حقائق وتفاصيل؟ أتكون الكاميرا دافعاً إلى متابعة ذاتية بعد انتهاء التصوير، أمْ أنّها معنيّة فقط بحثّ أناسٍ على البوح، فتوثّق أحوالاً وحالاتٍ فردية وجماعية؟ تساؤلات كهذه غير لاغيةٍ أهمية نصّ سينمائي، يتمتّع بجماليات فنية وتقنية وسردية، أبرزها التكثيف البصري الذي تُكشف بفضله أحوال، ويُنبّه إلى حالات.

هدى الصراري: الفقدان شعورٌ قاس (الملف الصحافي)

أقوالهم

لا يزال التمثيل ممتعاً. لكنْ، لم تعد توجد تحدّيات بالنسبة إليّ. هذه الأيام، أصبحت أهتم أكثر بالرسم وتأليف الموسيقى. أصبحت «ممثّلاً موظّفاً»، وهذا ما كنت أطمح إليه. أصبحت مستقلاً، أفعل ما يحلو لي. أؤدّي الأدوار، باذلاً لها الجهد المطلوب. لكنْ لم أعد أكرّس حياتي لها. أنا مستمتع، طالما أنّهم يدفعون لي من دون تأخير، وهناك سيناريو جيد ومخرج جيد. هذا كلّ شيء.

انتوني هوبكنز (Getty)

أنتِ (ميريل ستريب/WireImage) غيّرتِ النحو الذي ننظر به إلى النساء في السينما. أعطيتِنا صورة جديدة عن أنفسنا. وفوق هذا كلّه، أنجبتِ أربعة أطفال. كيف فعلت هذا كلّه؟

جولييت بينوش

يجب أنْ أشير إلى أنّ اجتماعات العمل في وقت متأخّر من الليل في غرف الفنادق لم تعد جزءاً من عادات «كانّ»، بعد اعتماد قانون MeToo، ونحن سعيدات بذلك. «كانّ» مكانٌ للاجتماع والحوار والنقاش والفكر والثقافة والدهشة، رغم قلقِنا إزاء حالة العالم بسبب الصدع العميق الذي يفرّق بين الشعوب. في «كانّ»، نأخذ لمحةً من إنسانيتنا، ونمتلئ بالأمل.

كامي كوتان (WireImage)

أفعالهم

A Son Image لتييري دو بيريتّي، تمثيل كلارا . **ماريا لاردو** (الملف الصحافي): عودة إلى تاريخ كورسيكا نهاية القرن الـ20، عبر بحثٍ في مصير أنتونيا، مصوّرة صحافية شابة، تُغرم بمناضل من أجل استقلال بلده. يتناول مآزق القومية، ولا يشوّه قضية كورسيكا. وقبل كلّ شيء، إنّه صورة رائعة عن امرأة تبحث عن طريقها الخاصّة.

Desert Of Namibia لـ **يوكو يَمَناكا** (يوتيوب): كانا (21 عاماً) امرأة يابانية ذات مزاج متقلّب. خبيرة تجميل، لا تستثمر كثيراً في عملها، ومن دون أي رغبة حقيقية محدّدة، يمكن أنْ تكون قاسية وعدوانية. إنّها ببساطة على قيد الحياة، لكنّ أطباء عديدين يشخّصون سلوكها: اضطراب ثنائيّ القطب. فيلم عن فزع امرأةٍ تكافح في مجتمع لا يزال جامداً وأبوياً بشكل رهيب.

«شرق 12» لـ **هالة القوصي** (فيسبوك): في عالم مغلق، يُقيم خارج الزمن، يحاول موسيقار شاب أنْ يتمرّد على واقعه ومجتمعه، وأنْ يبحث عن الحرية من خلال فنّه، مستعيناً بموهبته أولاً، وبصديقته التي يحبّها، لنيل الحرية في عالم أرحب.

«شرف» في بيروت: عن سجون عربية بلغة عادية

بيروت ـ **العربي الجديد**

يُعرض «شرف» (2022)، آخر فيلم روائي طويل للمصري الألماني سمير نصر، مساء الأربعاء، 29 مايو/أيار 2024، في «مسرح دوّار الشمس» (بيروت)، بحضور المخرج مع الممثل اللبناني فادي أبي سمرا. والفيلم، المقتبس عن رواية بالعنوان نفسه (1997) للمصري صنع الله إبراهيم، معروضٌ للمرة الأولى في الدورة الأولى (11 ـ 20 نوفمبر/تشرين الثاني 2021) لـ«مهرجان البحر الأحمر السينمائي»، وفائز بجائزة «التانيت البرونزي»، في الدورة الـ33 (29 أكتوبر/تشرين الأول ـ 5 نوفمبر/تشرين الثاني 2022) لـ«أيام قرطاج السينمائية». أشرف عبد العزيز سلمان، المعروف باسم شرف (الفلسطيني أحمد المنيراوي) واقفٌ أمام محقّق تونسي، يريد معرفة سبب قتله أجنبيّاً في منزله. «قليلٌ» من التعذيب كافٍ لبدء مسار، يُفترض به (التعذيب) أنْ يُصوِّره (المسار) بأشكال مختلفة، أبرزها لعبة الأداء، والاشتغال على الملامح والحركة والنطق، من دون انفعالات مدّعية. البداية العادية تلك تُقيم حاجزاً يحول دون مُشاهدة سوية، فأداء المنيراوي غير محترف، ونطقه يميل إلى افتعال، أو أنّه محاولة فاشلة لمسرحة ستكون ناقصة. نظراته غير متوافقة ونظرات سجين بتهمة القتل، سيوضع في سجنٍ واحد مع قتلة وسارقين ومعتدين، ومع سجناء رأي، ملتزمين دينياً أو ملحدين. إضافة إلى تفريق طبقي، فالذين يتمكّنون من الحصول على مأكل ومشرب ودخان وملابس (وربما مال أيضاً) من ذويهم وعائلاتهم، لهم رفاهية لا يحصل عليها غير المتمكّنين.

الفيلم («العربي الجديد»، 17 يوليو/تموز 2023) يُقارب مسألة السجون العربية بحيادية مطلقة، رغم نيّة واضحة في قولٍ مباشر، مفاده أنّ السجون العربية كلّها متشابهة في أجوائها وأحوالها، وسجنائها ويومياتهم. القول هذا يتمثّل باختيار ممثلين (هناك ممثلتان فقط، في دورين عابرين) من جنسيات عربية مختلفة (فلسطين ومصر ولبنان ودول مغاربيّة)، كلّ واحد منهم يتحدّث بلهجة بلده. تعاون عربي عربي كهذا مطلوبٌ بشدّة، لكنّ ترجمته السينمائية في «شرف» تُربِك المُشاهَدة.